Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التفاعل النقدي العربي مع مرحلة " مابعد" البنيوية بين متحمّس لها و متخوّف منها. -الإستراتيجية التفكيكية أنموذجا-

The Arab critical interaction with the post-structural stage is between its enthusiastic and fearful

-Deconstruction strategy as a model -

جمال بن جديد bendjedid djamel صباح لخضاري sabah lekhedary
المركز الجامعي :صالحي أحمد ولاية النعامة Centre universitaire de Naama
المؤلف المرسل :بن جديد جمال bendjedid djamel الإيميل: bendjdiddjamel@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2018-11-15 تاريخ القبول : 2019-09-24

ملخص:

لقد شهد النقد الأدبي الغربي المعاصر محطات تاريخية مهمة غيرت الرؤية النقدية تغييرا جذريا،و لعل من أبرز تلك المراحل هي مرحلة المابعد البنيوية post structuralisme ،و هي مرحلة وليدة ثورات ثقافية و معرفية عرفتها أوروبا ،ما جعل نظريّاتها تتّسم بالخصوصيتين الثقافية و المعرفية، و تغريبها في بيئة أخرى مُغايرة يجعل منها لغما عنقوديا رهيبا لا تمّحي ندوبه بسهولة ،إذا أسيء استخدامها .

و ما ترومه هذه الورقة البحثية الموسومة بـ" التفاعل النقدي العربي مع مرحلة " مابعد" البنيوية بين متحمّس لها و متخوّف منها"، هو توضيح تلك الخصوصية التي تتمتع بها هذه المرحلة من تاريخ النقد الأدبي الغربي المعاصر، و تداعيات هذه المرحلة على الساحة النقدية العربية ،مع عرض أهم الآراء النقدية العربية عنها، مبرزين في دراستنا أن هته المرحلة النقدية الحسّاسة هي وليدة ثورات غربية محضة ،و سوء نقل خطاباتها التنظيرية و العشوائية في توظيف مصطلحاتها ،سيجعل النقد العربي يعيش غربة و حيرة من أمره.

كلمات مفتاحية: مابعد بنيوية، خصوصية،مصطلح، مفاهيم،تفكيكية.

Abstract :

The contemporary Western literary criticism has witnessed important historical developments that radically changed the monetary vision. Perhaps the most prominent of these stages is the post structuralisme.

stage This paper, entitled "The Arab Monetary Interaction with the Post-Structural Stage," is an attempt to clarify the specificity of this stage of contemporary Western literary criticism and the repercussions of this stage on the Arab monetary scene. The most important Arab critical opinions about it, highlighted in our study that the critical monetary stage is the result of pure Western revolutions, and the poor transfer of letters and the use of random terminology in the terminology will make the Arab criticism live alienated and confused.

Keywords:post structuralisme,specificity, term, concepts, deconstruction.

مقدمة:

لقد أصبح إعمال النظريات النقدية الغربية الحديثة في الوسط النقدي العربي المعاصر ،ضرورة حتمية وملحّة ،أملتها ظروف معينة،وحساسيات جديدة حتمت على النقد أن يغير منطلقاته القديمة ،و يتجاوز تلك النظرة السلفوية الماضوية في قراءة الأعمال الأدبية و تحليلها.ولقد أثبتت الدّارسات جدارة هذه النظريات النقدية وتفوقها في استنطاق النصوص الأدبية والكشف عن خباياها ومكنوناتها وإضاءة الكثير من جوانبها الغامضة.

و تعتبر مرحلة ما بعد البنيوية (post structuralisme) من أقوى المراحل في تاريخ النقد الأدبي المعاصر،و قد ظهرت هذه المرحلة بناء على مرحلة سبقتها هي :المرحلة البنيويّة (structuralisme)، و

ما انجر عنها من مناهج كالسيميائية (sémiotique)و اللّسانية و غيرهما.و قد جاءت هذه المرحلة لتقوّض الميتافيزيقا الغربية، و تحطيم المقولات المركزية الّتي هيمنت قديما و حديثا على النقد الأدبي الغربي ، غير أن هذه النقلة المعرفية الّتي عرفها النقد الغربي ، قد أثّرت كلّ التأثير على النقد العربي المعاصر إمّا تثاقُفا أو نقلا أو ترجمة أو غيرها من وسائل التلاقُح الفكري بين مختلف الثّقافات في هذا العالم.

و المتتبّع للتناول العربي و الاشتغال النقدي العربي بالما بعد بنيوية ،يلحظ مواقف متباينة بين المتحمّسين لهذه المرحلة الجديدة و بين الرّافضين لها بحجّة الخصوصيّة الثقافية التي يحض بها النقد العربي.كما عرف النقد العربي في هذه المرحلة الحاسمة أزمات عديدة سواء على مستوى المصطلح الوافد ، أو على مستوى المفهوم ، ممّا انعكس سلبا على مساره.

و بناء على ذلك جاءت هذه الورقة البحثية لتجيب عن الإشكاليات التالية :كيف استقبل النقد العربي مرحلة "ما بعد " بنيويّة ،سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التّطبيق ؟و إلى أيّ مدى وُفّق النقد العربي في التّفاعل مع مرحلة مابعد البنيوية ؟ و ما تداعيات هذه المرحلة على مساره ؟و ما مظاهر تعثّر النقد العربي في تفاعله النقد الغربي ؟

2.مرحلة المابعد بنيوية (post structuralisme) في النقد الغربي المعاصر:

مرّ النقد الأدبي في الغرب عبر عدّة مراحل كبرى ، و يمكن حصرها في مرحلة الذوق مع الانطباعيين ، تلتها مرحلة التأريخ الأدبي ثم مرحلة علم النفس، ثم مرحلة المرجع الاجتماعي،وصولا إلى مرحلة أكثر نضجا و وعيا بخصوصية النص الأدبي مع المناهج النسقية(النصية) كالشّكلانية و البنيوية و الأُسلوبية ...الخ . و بعدها انتقل النقد إلى مرحلة ما بعد البنيوية (post structuralisme) الّتي ركّزت على مجموعة من المفاهيم و القضايا مثل : التأويل،التفكيك، التلقي، الجمالية،الجنوسة... و غيرها .

كانت البنيوية في مرحلة (الما قبل) تطمح لتأسيس مذهب نقدي جديد يعتمد في شرعيته على منهج علمي تجريبي ،خصوصا في تلك الفترة من القرن العشرين فقد كان العلم يحتل مكانا بارزا و كان منهجه فوق الشك ، لهذا تبنت المدرسة الجديدة النموذج اللّغوي كمدخل وحيد للمقاربة البنيوية للنصوص الأدبية .و حينما تأكد قصور النموذج اللّغوي عن تحقيق المعنى من ناحية ،و ثبت أنه مع ذلك لا ينطبق على كل الأنواع الأدبية بنفس الكفاءة ،من ناحية ثانية ،سقط المشروع البنيوي بسبب فشله في تقديم نموذج عام قابل للتطبيق على جميع النصوص .[1] إن هذه المرحلة البنيوية رآها النقاد مرحلة انغلاق على النص و أسر له ، كما رأوها مرحلة لم تقدّم الكثير للنصوص الأدبية فدعوا إلى مرحلة أكثر انفتاحا و نضجا و أكثر احتواء للظاهرة الأدبية، فكانت هذه المرحلة هي مرحلة "مابعد البنيوية".

و لقد تفتقت عن مرحلة مابعد البنيوية مجموعة من المقولات و المفاهيم الكبرى، ميّزت هذه المرحلة ،و لعلّ من أبرزها التّفكيك و التلقي و غيرهما .

إن الحركة المعروفة بالتّفكيكية (deconstruction) قد بلغت درجة الوعي بنفسها في سبعينيات القرن العشرين .غير أن عادة ما يؤرّخ لها بعام 1966 ،و هو العام الذي ألقى فيه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا jacques derrida ورقته المعنونة ب"البنية و العلامة و اللعب في خطاب العلوم الإنسانية structure sign and play in the discourse of the human sciences، ثم أُعيد طبعها ضمن كتابه "الكتابة و الاختلاف" writing and difference ص:278-294، في مؤتمر عن البنيوية نظمته جامعة جون هوبكنز بالو م أ .و قد تميزت هذه الورقة بقطيعة معرفية واضحة مع الافتراضات النّظرية الّتي تنطوي عليها النزعة البنيوية ،فذاعت على الفور بوصفها إيذانا بظهور حقبة "مابعد البنيوية " .ذلك المصطلح الذي كان –ولا يزال –غامضا على نحو يدعو لليأس ،و يكسب المصطلح معناه المفترض –أيا كان هذا المعنى –بمجرد الإشارة إلى دريدا و ميشيل فوكو .[2]

و إستراتيجية التفكيك هته قد تأسّست على رفض علمية النقد ،و الشكّ في كلّ الأنظمة و القوانين و التقاليد ،و التحوّل إلى لا نهائية المعنى .لقد انطلق التفكيك كالثور الهائج في حانوت العاديات يحطم كل غال و ثمين أو مقدس ،و استبدل التفكيكيون بالنموذج ذاتية القراءة و التمرد على نهائية النص و انغلاقه .ثم أنهم أيضا استبدلوا بعلمية النقد أدبية اللّغة النقدية .و هكذا أضافوا إلى فوضى الدلالة –بسبب اللّعب الحرّ للعلامة و البينصية و الانتشار و غياب المركز المرجعي ،بل اختفاء

التّفسيرات الموثوقة و الأثيرة – لغة نقدية تتعمد لفت النظر إلى نفسها بعيدا عن النص .و في نهاية المطاف ،وصل التفكيكيون إلى نفس ما انتهى إليه البنيويون ،و هو حجب النص .

إن الواقع الفرنسي الذي ولد فيه التفكيك سرعان ما لفظ التفكيك واضطر أصحابه إلى الهجرة إلى تربة أخرى –هي أمريكا- حينما اكتشف أن التّفكيك في حقيقته هو ينسف التوحد و يلغي التجانس ،لأنه ينادي بالتعدد اللانهائي لتفسير النص .[3]

و ثمة جو عام يسود أقسام الأدب يرى أن التفكيك قديم و محافظ و قد حلت محله "الدراسات الثقافية " و هي حركة تدين بدين كبير لميشال فوكو ليس النقد الأدبي التفكيكي سوى ظاهرة تؤشر على تغير عميق و بارع و متنام في صورة مفكري الغرب عن أنفسهم .

و مرحلة ما بعد الحداثة ،لا يمكن بأي حال من الأحوال فصلها عن التلقي reception theory و أحد تفريعاته و هي النقد القائم على استجابة القارئ reader response criticism من ناحية ،و التفكيك من ناحية أخرى . نحن لا نقول أننا أمام مدرسة واحدة ،لكن نقد التلقي حقق شعبية ملحوظة في الجامعات الأمريكية وصلت إلى دروتها في السبعينيات ،و قد مهدت تلك الشعبية الطريق للتفكيك فيما بعد ، خاصة أن كلا من التلقي و التفكيك يلتقيان في أهم مبادئهما ،و هو إلغاء النص و قصدية المؤلف .[4]

قد يرى بعض المتحمسين للحداثة و شعاراتها البراقة في العالم العربي و الذين تحولوا من البنيوية إلى التفكيكية دون القيام بمجرد تنبيه القارئ لما يجب أن يتوقعه ، أن في تلك الآراء المتخوّفة من التفكيك بعض التجني عليه .لكن تجربة الإستراتيجية التفكيكية في الواقع تؤكد أن المشروع الجديد فتح أبواب الجحيم على مصارعها أمام الإبداع و التلقي على السواء ،فهو يقدم عالما تسوده فوضى لا تعترف بالقوانين أو السلطة أو الإحالة .لقد كانت نقطة الضعف الأساسية في المشروع البنيوي أنه أراد ،انطلاقا من طموح مشروع لتحقيق "علمية "الدّراسة الأدبية ، أن يقنن للنقد و يضع له الضوابط و الأحكام الموضوعية .و حينما فشل المشروع البنيوي في تقديم مشروع مقنع و شامل لتفسير الدلالة اتجه نقد مابعد البنيوية إلى البديل المضاد .و قد وصف فنسنت ليتش ماوصل إليه أحد أقطاب "مدرسة ييل للتفكيك" هو "هيليس ميللر hillis miller حيث وصفه كشيطان يرقص فوق أشلاء ضحاياه ، و كثور هائج انطلق وسط حانوت عاديات يدمر كلّ شيء بلا قيود .و يقوم ميللر بالتقليل من شأن الأفكار و المعتقدات التقليدية حول اللغة و الأدب و الحقيقة و المعنى و الوعي و التفسير ،و يترتب على ذلك قيامه بدور المخرب الذي لا يكلّ –دور الساحر العدمي –الذي يرقص كشيطان فوق أشلاء التقاليد الغربية المتناثرة ،و سرعان ما يتحول كل شيء يمسه إلى شيء ممزق .اللاشيء فقط هو ما يلبسه ثوبا نهائيا أو يصوره متماسكا أو يبرزه باعتباره وهما سحريا .إن ميللر ،صانع الشقوق الذي لا يكل أي تعليمات واضحة ،و ينطلق بلا قيود راقصا ،يلقي بتعويذته ،مدمرا كلّ شيء .إنه يبدو كساحر في ثياب ثور تفكيكي انطلق دون قيد داخل حانوت العاديات للتقاليد الغربية "[5]،و إذا كان هذا الموقف الرافض للتفكيك هو من عقول غربية ،فما بال العقول العربية منبهرة فيه و كأنه المنهج المخلّص للنقد مما هو عالق فيه.

و أمامنا مؤسس التفكيك و هو دريدا نفسه و الذي يحدد منهج إستراتيجية التفكيك بقوله :" نعرف أن التفكيك يتحول ،إن عاجلا أو آجلا ،إلى كل قراءة نقدية أو تركيبية نظرية .حينما يتم اتخاذ قرار ،تظهر السلطة ،حينما تعمل النظرية أو النقد عندئذ يشكك التفكيك .بمجرد أن يفعل ذلك يصبح مخربا ...و في نهاية الأمر يحقق التفكيك مراجعة التفكير التقليدي ".

لقد سعى دريدا مشروعه النقدي في دراسته المبكرة on grammatology إستراتيجية :"إن التفكيك ليس نظرية أو منهجا وليس مذهبا هرمنيوطيقيا بالقطع .بل يمكن تسميته –مؤقتا- (إستراتيجية النص)،وحتى نكون أكثر دقة ، إنه (ممارسة) و ليس نظرية".[6] و رغم محاول صاحب الإستراتيجية التفكيكية-دريدا- تبسيط التفكيك و تخفيف وزنه بأنه إستراتيجية و ليس منهج و بأنه ممارسة و لا يرقى لدرجة النظرية غير أن لفيفا من النقاد العرب نفخوا فيه و انبهروا به و حاولوا نقله إلى القارئ العربي و كأنهم ينقلون إليه شيئا عظيما.

يرى الباحث العربي عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المحدّبه :"إن البنيوية و التفكيك انطلقا من رفض مشترك للمذاهب النقدية المعاصرة و السابقة نحو هدف واحد –على رغم اختلاف الوسائل التي اختارها كل منهما – و هو تحقيق المعنى وانتهيا إلى

نفس المحطة النهائية .فالبنيويون فشلوا في تحقيق المعنى و التفكيكيون نجحوا في تحقيق اللامعنى .لقد رفضوا كل شيء و لم يقدموا بديلا أو بدائل مقنعة .[7] و ليس عبد العزيز حمودة سوى نموذج من النماذج الرافضة لانبهار العقل الغربي بالنقد الغربي المعاصر رغم زلاته و انزلاقا ته، بل نجد عبد العزيز حمودة يقف في صف "المقالح" و يدعوا إلى نظرية نقدية عربية خالصة تراعي خصوصية النص العربي.

3. الخصوصية الثقافية و المعرفية للمناهج النقدية الغربية :

إنّ الوصول إلى مرحلة (مابعد البنيوية) عند الغربيين لم يكن بالصّدفة ، فمن المعلوم أن تطور الفكر الغربي المعاصر ، جاء وليد تمخضات التّمركز حول العقل ،و ثورة الإنسان على الكنيسة و عصور الظلامية ، التي ضربت سياجا مهيبا على الحياة ردحا من الزمن ، و بذلك فصلت الناس عن المرجعيات التي أرساها الفلاسفة و المفكرون الأكثر استلهاما للثقافة اليونانية و الرومانية القديمة ، "بدءا من سقراط ،مرورا بأفلاطون و أرسطو ،وصولا إلى كانت و هيجل و ديكارت ، فقد كانوا يجدّون في بناء صرح الفلسفة ، و إرساء أسس نظم الفكر الكبرى ،و صياغة الأسئلة الفلسفية الجوهرية عن الكون و الوجود و المصير ، أما فلاسفة القرن العشرين و مفكروه ،بدءا من جون ديوي و برغسن و برتراند رسل ، مرورا بـ هوسرل و هيدغر و سارتر ،وصولا إلى دريدا و هابرماز ، فقد انهمكوا (جميعهم) في تحليل نظم ذلك الصرح الكبير الذي بناه أسلافهم ".[8] فقد عرف هذا القرن (القرن العشرين) بأنه عصر التحليل و الوصف و قد تعالت أصوات تدعوا إلى علمنة الظواهر الاجتماعية و إخضاعها للوصف و التحليل ، فكانت اللغة بذلك محلّ اهتمام المفكرين و الباحثين ": إذ أصبحت جزءا من مرتكزات الفكر ،و أنموذجا للقياس و التطبيق ، و مثالا للبحث في مستويات الظاهرة الفكرية ، و كل هذا جعلها تتبوّأ مكانتها المشار إليها في المنهجيات الحديثة و المعاصرة ".[9]

و يعود الفضل في إرساء الدّرس اللّساني الحديث إلى جهود العالم اللّغوي السويسري فرديناند دي سوسير (1913/1957م) من خلال محاضراته الشهيرة (محاضرات في علم اللسان العام) حيث جعل من خلال مجهوداته اللّغة و علمها منطلقا لدراسة النص الأدبي كعلامة لغوية ،." و لقد كان لهذه الثورة تأثيرا كبيرا على الدرس النقدي الغربي ، فسارع النقاد إلى تلقف الجهد اللّساني الجديد ،و محاولة محاكاته و تبني مناهجه ورؤاه ، من أجل مقاربة النص الأدبي مقاربة علمية ، و تأسيس ما يسمى بعلم الأدب ، و هو ما بشر به الشّكلانيون الروس و من بعدهم أقطاب البنيوية .

و يقر كثير من الباحثين على أن جذور البنيوية هي الفلسفة التجريبية و المثالية الكانطية :" لقد افترضنا بالفعل أن البنيوية في صيغتها الأصلية هي إمبريقية قائمة على الصيغة الماركسية ،التي ترى أنه بالرغم من أن الوعي يشكل فإن الحقيقة يمكن برغم ذلك الوصول إليها إمبريقيا(بطريقة ما) عن طريق التحليل ".

لكن منتصف القرن جاء بحركة جديدة لبندول الثنائية في الاتجاه المعاكس :فقد أكد الدمار الذي لحق بأروبا في أثناء الحرب العالمية الثانية ،التي انتهت باستخدام الو.م.أ لقنبلتين ذريتين ألحقتا دمارا شاملا في هيروشيما و نجازاكي .إلى إحساس بالرعب في نتائج التطبيقات التكنولوجيا للاكتشافات العلمية .لقد تأكد للعالم أن العلم فشل في تحقيق السعادة و الأمان و المعرفة و اليقين .وعاد عصر الشك في قدرة العلم على تحقيق المعرفة و كان رد الفعل النقدي في ما بعد البنيوية هو العودة الكاملة إلى الذات و الارتماء في أحضانها بلا قيود لكن هذه العودة كانت بكل قوة و أكثر شمولا و عمقا لقد كان الشك في كل شيء .و خيم شك فلسفي جديد على العالم .و رأى الفلاسفة أن الحقائق هي أوهام نسي الناس أنها كذلك و هذه الأوهام رآى دريدا أنها :المركز الثابت ،مركز الوجود ، الجوهر ، الكينونة ، الحقيقة ، الوعي ، الله ، الإنسان و هذه المدلولات العليا التي يسجد العالم كله لها هي ما يرفضه المشروع الدريدي بكل قوة .فلقد كانت رؤية دريدا للغة و الأدب فلسفية الجذور .و الواقع أن بعض الأفكار الأساسية لتفكيك دريدا مثل المعرفة و اللغة ،الحضور و الغياب ،لانهائية الدلالة ،رفض الثوابت و القراءات المعتمدة ، و غياب المركز الثابت للمعرفة ،و التناص ، و فوق هذا وذاك مفهوم التدمير ذاته ،تتطابق مع فلسفة هيدجر التأويلية .[10]

و بسبب هذه الدواعي الفلسفية و الفكرية و الثقافية التي شهدها العالم الغربي انتقل النقد الغربي إلى مرحلة ما بعد بنيوية ، التي حاولت أن تواكب التطورات الحديثة في حقل

الدراسات اللسانية ، على غرار لسانيات نوام تشومسكي و هاريس و غيرهما و ظهرت مناهج جديدة كنظرية التلقي و التداولية و التأويلية[11]، وكذلك السيميائية ...و غيرها "[12] ، فالنقد الأدبي الحديث في الغرب كان وليد ثورة لغوية كبيرة ، و كان نتيجة نقلات متلاحقة في المعرفة وفي الفكر.

فلقد تبلورت المناهج الغربية في الثقافة الغربية و نتجت أو كانت نتاجا لظروف خاصة عاشها الفكر الغربي و هي ظروف فلسفية و سياسية و فكرية و ثقافية و دينية عاشتها أوروبا و العالم الغربي ككل ،أو هي عبارة عن ثورات و تمردات عاشها الإنسان الأوربي و الغربي ،جعلته يقلب الموازين .و نستطيع القول أنها كانت نتاج ثلاثمائة عام من التحول في البيئة الغربية .

و مما لا شك فيه أن المشروع الما بعد بنيوي ،مثله في ذلك مثل أي مشروع نقدي آخر ، بدأ بطموحات غير محدودة تتماشى مع روح القرن العشرين الساعية دائما إلى تأسيس شرعية علمية لأنساق الثقافة ،في الوقت الذي تلتزم فيه بالوظيفة الأساسية للنقد و هي التوسط بين العمل الأدبي و المتلقي بغية إنارته و تقريبه إلى القارئ .و الواقع أن نظرية الوساطة تلك ، رغم ما تحمله من تبسيط ،كانت دائما في قلب وظيفة النقد .

و عبر تاريخ النقد الأدبي كانت المدارس الجديدة تنشأ و تتباين فيما بينها حسب الظروف التي يعيشها عصرها ،و لولا الظروف الخاصة لكل عصر لما قسم النقد إلى مراحل مختلفة سياقية و نسقية و ما بعد بنيوية .

إن إستراتيجية التفكيك تنطلق من موقف فلسفي مبدئي قائم على الشك .وقد ترجم التفكيكيون هذا الشك الفلسفي نقدا إلى رفض التقاليد ،رفض القراءات المعتمدة ،رفض النظام و السلطة من ناحية المبدأ [13].

فالتفكيكية و إحدى ثمرات الثقافة الغربية فيقول عنها ليتش و هو ابن بيئتها :"إن التفكيكية المعاصرة ، باعتبارها صيغة لنظرية النص و التحليل ، تخرب كل شيء في التقاليد تقريبا ،و تشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة ،واللغة ، و النص ، والسياق ، و المؤلف ، و القارئ ،ودور التاريخ ، و عملية التفسير و أشكال الكتابة النقدية .وفي هذا المشروع فإن المادي ينهار ليخرج شيء فظيع ".

أما باختين فيصور واقع "النقد الغربي المعاصر " باعتباره كرنفالا و يتفق معه وليام كين william cainفي كتابه the crisis criticism (1984)حيث يراه نتاج الحضارة الغربية حيث يقول ":مما لا شك فيه أن كلا من النظرية و الأدب ، ناهيك عن البداجوجيا و الممارسة و الأقسام و الأنظمة ،تعاني أزمة .لكن جذور الأزمة تكمن في النقد.وجذور ذلك النقد هي النظرية – ليست نظرية واحدة ،بل مهرجانا من النظريات ".[14]

و بالرغم من شعبية التفكيكية في الحياة الثقافية في الو .م .أ إلا أن تلك الشعبية لم تمنع ظهور حركة معارضة قوية ظلت لبضع سنوات تحاول كشف زيف الإستراتيجية و خطورتها في نفس الوقت .و لقد استطاعت هذه المعارضة منذ النصف الثاني من الثمانينيات أن تكشف المشروع التفكيكي و تفضحه .ليستسلم المشروع التفكيكي فاسحا الطريق أمام مشاريع نقدية جديدة أبرزها التأريخية الجديدة في الو.م.أ و بريطانيا .[15]

و لذا فالمناهج النقدية بصفة عامة و المابعد بنيوية بصفة خاصة هي وليدة بيئة غربية خاضعة لظروف سياسية و اجتماعية و ثقافية خاصة ، و مما لا شك فيه أن هذه الخصوصية سيكون لها انعكاساتها و تأثيراتها الوخيمة على الدرس النقدي العربي .

ومن هنا نطرح مجموعة من الإشكاليات: إلى أي مدى يمضي بنا هذا السعي وراء المناهج الغربية المعاصرة في دراسة الأدب؟

بل إلى متى سنظل نلهث وراء ما تفرزه الفلسفات والعلوم من افتراضات ونسقطها على الأدب؟ وقبل هذا:إلى أي مدى تصلح المناهج النقدية المعاصرة التي هي اختراع غربي بالأساس لدراسة النص العربي؟

وهل عالمية الإبداع والثقافة والفن وما إليها مبرر لأن نحمّل نصوصنا ثقل النظريات الوافدة عليه، والتي أكثر من هذا فهي تفرض عليه، فرضا بحكم التأخر الذي نعانيه على المستوى الثقافي عموما؟

4. تداعيات المابعد بنيوية على الدراسات النقدية العربية المعاصرة:

و في ظل الانفتاح العربي على مختلف الحضارات الشرقية و

الغربية، و نظرا للتطور الذي عرفته الحضارة الغربية في بداية القرن العشرين، ارتمى العرب في أحضان تلك الحضارة ينقلون و يترجمون ظنا منهم أن المركز الغربي هو الوحيد الذي يشعّ بالثقافة في العالم، و قد سمى حسن حنفي هذه الظاهرة ب " أسطورة الثقافة العالمية " و بالتالي هذا الانبهار بالآخر جعل الدرس المصطلحي العربي يشهد تطورا ملموسا و كانت أبرز منابر النشاط النقدي الجديد هي مجلة "فصول " التي فتحت أبوابها أمام المفكرين المصريين و العرب فقدموا الدراسات الجادة و الترجمات المتميزة .[16]

فلقد شهدت الحركة الأدبية النقدية في العالم العربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين انفتاحا واسعا على المناهج النقدية الوافدة إلينا من الغرب، ويتجلى هذا الانفتاح في ذلك التهافت من طرف الكثير من النقاد في البلاد العربية محاولين تطبيقها على النص الإبداعي العربي، مما أدى إلى حدوث فوضى نقدية على مستوى تطبيق هذه المناهج، هذه الفوضى التي حمل جريرتها المصطلح النقدي نتيجة عدم مراعاة وتجاهل الأبعاد الفكرية والفلسفية التي يتكأ عليها كل منهج .[17]

لكن الانفتاح على الغرب بدون حدود ولّد العجز كما قال عبد العزيز حمودة ":العجز ذاته عن التعامل مع الدراسات البنيوية و فهم أهدافها بل فهم وظيفة النقد ذاته في ظل المصطلحات النقدية المترجمة و المنقولة و المنحوتة و المحرفة التي أغرقونا فيها لسنوات ". إنّ هذا الانفتاح الأعمى دون مراعات الخصوصية العربية قد ولّد الكثير من العقبات التي منعت تقدم الدرس النقدي العربي .

5. مظاهر تعثر الدرس النقدي العربي في التواصل مع النقد الغربي:

استقبل العقل العربي منجزات العقل الغربي في مجال النقد الأدبي بصدر رحب ، و ذلك لسببين اثنين اتفق عليها معظم المفكرين هما أولا ولع المغلوب بإنجازات الغالب و شعوره بضرورة التقليد و ثانيا هبّت النقاد العرب لحفظ ماء وجه النقد العربي ، لأن مرحلة مابعد البنيوية صارت ضرورة حضارية و لم تعد ترفا فكريا مما اضطر النقاد العرب إلى المسارعة لحفظ ماء وجه النقد العربي و ضرورة مواكبة الحركة النقدية العالمية المتسارعة ،و قد اختلفت أشكال هذه المواكبة بين نقل و ترجمة و نحت و تحريف ...و غيرها . غير أن هذه المناهج الغربية –و خاصة المابعد بنيوية -تخضع للخصوصية الثقافية و المعرفية و تغريبها في البيئة المغايرة (العربية) يجعلها لغما عنقوديا لا تمحي ندوبة بسهولة ،بداية من غموض الخطاب التنظيري إلى غربة المصطلحات ثم غموض المفاهيم و طلسمتها.

1.5 تضاربات الخطاب التنظيري و تداعيات ذلك على الدرس النقدي العربي :

إن ما نقصده بالخطاب التنظيري هو ما أُلف من مراجع و كتب في النقد الغربي المعاصر و ما وصل إلينا من البيئة الغربية سواء بالنقل أو النحت أو الترجمة ، "و هذا الخطاب التنظيري يطرح صعوبات و إشكالات منهجية سواء على مستوى القراءة أو التأويل، بسبب ما يعيشه من فوضى مصطلحية ،و تعدد المرجعيات و إفراط في التجريد المصطلحي ،وجنوح إلى التنظير الصرف على حساب الجانب التطبيقي . وغيرها من الإكراهات التي تشكل معوقات انتظام الخطاب النقدي نظريا و ابستيمولوجيا ، و هذه الخطابات التنظيرية تقدّم النقد الأدبي المابعد بنيوي ،في صورة خطاب غامض و معقد يبعث على العزوف أكثر ممّا يحفز على القراءة ، و من ناحية أُخرى يبدو النقد الأدبي -بالنسبة لكثير من الناس-عملية ذهنية صعبة غامضة لا يمكن –فيما يعتقدون –أن يفلحوا في النهوض بها ".[18]

و هذه التضاربات هي ما جعلت العقل العربي يتخلف بعض الشيء عن نظيره الغربي في تناوله لهذه المناهج المابعد بنيوية الوافدة في بيئة الآخر.

و ما يجب التأكيد عليه أن النقد العربي يعيش في هذا العصر أزمة حقيقية ،فأزمة النقد العربي منذ ثمانينات القرن الماضي هي "قطيعة معرفية" غير مكتملة، بدأت مع بدايات عدم استقرار المنظومة النقدية بمحاولات تحديثها بروافد أكثر عصرية لم ينتجها العقل العربي. مما يجعل المفاهيم النقدية التي بين أيدينا الآن في حالة عدم استقرار أو لنقل عدم الوضوح.

لعل التجلي الأكثر بروزا لمظاهر عدم استقرار المنظومة النقدية في الثقافية العربية، وجود ممارسة نقدية: نظرية وتطبيقية - عريضة لا تجد من يفهمها من القراء العرب، بل ((نجيب

محفوظ)) نفسه أعلن من قبل أنه لم يستطع فهم شيء من النقد البنيوي الذي قدمته الدكتورة ((هدى وصفي)) عنه في مجلة فصول النقدية في عددها الثاني الذي صدر في يناير (1981م)؛[19] وذلك لا شك مؤشر لعدم الاستقرار، وإذا ما أضفنا لذلك تعليقات العديد من القراء والأدباء في مختلف البلدان العربية، والتي تعكس ضعف تجاوبهم مع الرسومات والشروحات البيانية حول الأعمال الأدبية التي يتم نقدها باستخدام منظومة النقد المعاصر، فإننا يمكن وضع أيدينا على تشخيص وتعريف واضح للأزمة في مجال النقد العربي.

إذن فلنقل أن بلورة الأزمة: وجود ممارسة نقدية لا تلق تجاوبا جماهيريا، ولا سندا من المبدعين أنفسهم، فالمتلقي لهذا النقد خصوصا المابعد بنيوي ،لا يشعر أنه يخرج بفائدة أو قيمة منه تُيَسِّر له عملية تأويل العمل الأدبي، أو تمكن المبدع من تطوير ذاته والوقوف على أوجه الضعف والقوة في أدبه، وفي الوقت ذاته لم تعد الممارسة النقدية التقليدية مثل التي كانت موجودة قبل هذه المرحلة تلق قبولا أو اهتماما؛ لذا هو وضع متوتر يمثل حالة صراع مستمرة بين النقد المعاصر الذي لا يجد من يتجاوب معه أو يفهمه من عامة المتلقين، وبين النقد العربي الذي أصبح لا يستجيب لتطلعات الإنتاج الأدبي المتسارع.

بدأ طرح "البنيوية" وما بعدها من نظريات نقدية بشكل قوي وعلي نحو واسع في ثمانينات القرن الماضي في مجلة ((فصول)) النقدية، وهذا الطرح نفسه في هذه المجلة تأثر بروح الأكاديمية التي بها الكثير من السلبيات كما يرى الدكتور ((البحراوي))، يواصل قائلا: «وأيا كان مصدر التوجه فقد تم تقديم معرفة واسعة بالنقد الأدبي في العالم الغربي كما سبق القول. غير أن هذا التقديم، قد اتسم هو الآخر بطابع الأكاديمية، بكل مشكلاتها في مصر. فسواء كان هذا التقديم ترجمة لمقال أو عرضا لكتاب أو دورية، أو كتابة عن منهج أو نظرية، فإن الطابع الغالب عليه، كان التبسيط المخل من ناحية، والغموض من ناحية أخرى، وعدم فهم الأصول في كل الأحوال. فمن خلل وتضارب في ترجمة المصطلحات إلي تناقض في الجزئيات، والسياق الذي تنبع منه النظريات وتجيب عن أسئلته، سواء كان سياقا ثقافيا أو سياسيا أو اجتماعيا. وكل هذا أوقع القارئ العربي الذي لا يجيد الاطلاع على اللغات الأصلية المنقولة عنها والذي أخذته الدهشة والانبهار، في حالة من الصّنمية إزاء المقَّدم الذي لا يفهمه.»[20]

2.5 فوضى المصطلح النقدي المترجم :

إنّ الانفتاح على الغرب بدون حدود خصوصا مع مرحلة المناهج المابعد بنيوية ،أدّى إلى تأزم المصطلح النقدي و إرهاق كاهله بما ليس فيه ،و مما كان يعمق الإحساس بالعجز الرسوم التوضيحية و البيانات و الجداول الإحصائية و الرسومات المعقدة من دوائر و مثلثات و خطوط متوازية التي ميّزت تلك المناهج الحديثة .

غير أن الهجرة غير الشرعية للمصطلحات الوافدة من ثقافة الآخر بانتظام مثير بفعل الإسهال المصطلحي الّذي أصاب الدراسات النقدية العربية الحديثة و المعاصرة عجّلت بزعزعة النسق المعرفي لدى المتلقي العربي الذي ضعُفت مناعته الثقافية ليجد نفسه في الأخير قابلا لتقبل جميع القيم الوافدة دون اعتراض عقلي أو ممانعة نفسية في وضع شديد الشبه بوضع السمّ في الدّسم .

و من إشكاليات المصطلح أن المصطلحات التي تشهدها الساحة العربية هي في أغلبها مصطلحات غربية الجنسية و من الملاحظ أن بعض المترجمين يقدمون على الترجمة دون تسلّح كاف بأدواتها و مطالبها و لذلك يعمدون إلى الترجمة الحرفية أو الترجمة الركيكة .فيصبح المصطلح غامضا نتيجة هذه الترجمة رُغم أنه في حقيقته واضح كلّ الوضوح.[21]

يقول "جرجي زيدان " عن الترجمة السيئة في بداية الأمر :كان النقل في أوائل الأمر من غير أرباب الفنون الّتي ينقلونها .أو ممن ليسوا متمكنين من اللّغة العربية و مصطلحاتها العلمية ،فكان نقلهم غير دقيق و فيه بعض الأخطاء .

و قد رأى بسام قطوس (الأردن) أنّ الاختلاف في ترجمة المصطلح النقدي الواحد من شأنه أن يُفاقم الاختلاف النقدي و يعود ذلك إلى الأسباب التالية :

1-عدم استقرار المصطلح النقدي فهناك الكثير من المصطلحات المتعددة المعنى و المفهوم عند النقاد فضلا عن تأرجح المعنى للمصطلح النقدي عند الناقد الواحد لذا يجب توحيد المصطلح حتى يرسى المفهوم .

2-اختلاف النقاد في فهم المراد من المصطلح النقدي الواحد مما يؤدي إلى تضارب الآراء أحيانا و اختلاف النتائج .

3-إنّ مشكلة الاصطلاح مرتبطة ارتباطا وثيقا بإشكالية التعريب و التّرجمة ".[22]

و من أمثلة سوء الترجمة و تداخل المفاهيم في المصطلح التفكيكي:

نجد أن المصطلح الذي عرف عند الكثيرين بالتفكيكية و هي ترجمة لـ (déconstruction) فقد استعمل عبد الله الغذامي بدله مصطلح (التّشريحية)و يقول "احترت في ترجمة هذا المصطلح ...واستقر رأيي أخيرا على كلمة التشريحية "[23]، و قد وجدنا أيضا (التقويضية) :فلقد استعمل هذا المصطلح عبد الملك مرتاض 1995 و ميجان الرويلي و سعد البازعي في كتابهما "دليل الناقد الأدبي " و قد أكّدوا أنّ هذا المصطلح هو الأقرب إلى المفهوم الدُريدي.[24]كما استعمله ميجان الرويلي في كتابه "قضايا نقدية مابعد بنيوية " و سعد البازعي في كتابه"استقبال الآخر في النقد العربي الحديث".[25]

(التفكيك) :وظفه محمد عناني في كتابه "المصطلحات الأدبية الحديثة" و قد وظف هذا المصطلح أيضا عبد الوهاب علوب و سعيد علوش و بختي بن عودة و شوقي زين و عزت محمد جاد و مجدي أحمد توفيق و آخرون ،و كذلك (التحليلية البنيوية):وقدوظفه يوسف عزيز .أما مصطلح (الهدم):فقد وظفه التهامي الراجي حيث رأى فيه بديلا للكلمة الفرنسية الأصلية .و (اللابناء و النقد البنائي) :استعمله شكري عزيز الماضي .

فلقد تعدد المصطلح الدال على المفهوم الواحد و ذلك راجع إلى أسباب متعددة قد تعود إلى اختلاف المشارب التي ينتمي إليها هؤلاء النقاد ، أو قد يعود السبب إلى سوء فهم المعنى الحقيقي للمصطلح من ناقد إلى آخر ،إلى غيرها من الأسباب الكثيرة.

إنّ ما يعكسه المشهد العربي الراهن عموما هو وجود فوضى مصطلحية تنم عن غياب الوعي ،و عن حالة الهذيان بحمى المناهج الغربية دون التحكّم فيها .

يقول عبد السلام المسدي عن ضرورة الحيطة في نقل المصطلح نظرا لخطورة سوء استعماله نتيجة الفوضى و الترجمة العشوائية ":و إذا كان من الثابت أن المصطلح لغة واصفة ذات جوهر يعكس حمولة مفهومية و معرفية و ثقافية و انتماء إلى ثقافة ما فإنّ تغريبه يجعل منه لغما عنقوديا موقوتا لا تمّحي ندوبه بسهولة ".[26]

6. خاتمة:

إن مرحلة المابعد بنيوية هي مرحلة مهمّة يعيشها النقد الأدبي المعاصر بصفة عامة و النقد العربي بصفة خاصة ، فلقد استقبل العقل العربي هذه المرحلة بخيرها و بشرها ، و هي نقلة معرفية كانت نتيجة ظروف خاصة شهدها العالم الغربي في شتى النواحي الثقافية و المعرفية ، فلقد تفتقت عن هذه المرحلة مناهج غربية المولد و النشأة ، و تغريبها في البيئة النقدية العربية يجعلها غريبة ، فبفعل النقل و الترجمة الغير دقيقين و بفعل الإسهال المصطلحي أصبح النقد العربي تابعا أكثر منه متبوعا و محاكيا أكثر منه فاعلا و متأثرا أكثر منه مؤثرا ، و المتلقي العربي ضعُفت مناعته الثقافية و أصبح يستقبل كل ما يرده من الضفة الأخرى دون أن يفكر فيه حتى .و لذا وجب علينا العمل بنصيحة طاغور عند قوله :"أنا مستعد لأن أفتح نوافذي في وجه جميع الرياح لكن بشرط أن لا تقتلعني هذه الرياح من مكاني ".

كما يجب مراعات خصوصية النصوص الأدبية و الحفاظ على جماليتها و عدم إرهاق كاهلها بمناهج عصية على الفهم و عصية على التطبيق ، و النص الأدبي العربي بالخصوص يتميز بميزات خاصة ، على الناقد مراعاتها ، و "النص بصفة عامة بئر غزيرة الماء كلما مُتح منها نشطت عروقها ، و تدفقت روافدها و تجددت مياهها "[27]، لكن كثيرا ما تستعصي النصوص على المناهج المابعد بنيوية لصرامتها و عبثيتها و إتلافها لعرى تماسك تلك النصوص .

7. قائمة المراجع :

1. أبو شاويش حماد "مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث "مجلة كلية التربية ،مجلد1 العدد2 ، يناير 1997.

2. بسام قطوس "قضايا المصطلح اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة "دار الوحدة للنشر و التوزيع اللاذقية ،سوريا ،1988.

3. خالدة سعيد "الحداثة و عقدة جلجامش "في قضايا و شهادات ، دمشق، دار كنعان ، 1990 ،ج2

4. راضية شتيوي "إشكالية المصطلح النقدي عند يوسف وغليسي "(رسالة ماجستير)جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،الجزائر ، 2015/2014.

5. عبد السلام المسدي "المصطلح النقدي " مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع تونس 1994.

6. عبد العزيز حمودة "المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية "المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ،ط1.1978.

7. عبد الله ابراهيم و آخرون " معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة " المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1996.

8. عبد الله الغذامي "الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية "المركز الثقافي العربي –بيروت –لبنان –ط1 ،1985 .

9. كمال جدي "المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك " (رسالة ماجستير) جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ،2012/2011م.

10. يوسف وغليسي "مناهج النقد الأدبي "جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ط1 ، 2007/1428م

11. The cambridge history of literary criticism volume8 formalism to poststruralism .edited by .ramanselden published by the press syndicate of the university of cambridge .press 1995 .

7. **هوامش:**

[1] عبد العزيز حمودة "المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية "المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ،ط1.1978 ص: 259.

[2] The cambridge history of literary criticism volume8 formalism to poststruralism .edited by .ramanselden published by the press syndicate of the university of cambridge .press 1995 .p273.

[3] عبد العزيز حمودة ،المرجع السابق ، ص: 144.

[4] المرجع نفسه ، ص: 143.

[5] المرجع نفسه ،ص:144.

[6] خالدة سعيد "الحداثة و عقدة جلجامش "في قضايا و شهادات ، دمشق، دار كنعان ، 1990 ،ج2،ص:273.

[7] عبد العزيز حمودة "المرجع السابق" ،ص : 08.

[8] عبد الله ابراهيم و آخرون " معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة " المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1996، ص: 07.

[9] المرجع نفسه، ص: 08.

[10] ينظر: عبد العزيز حمودة "المرجع السابق " ص: 263.

[11] كمال جدي "المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك " (رسالة ماجستير) جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ،2012/2011م ، ص:01.

[12] ينظر :عبد الله ابراهيم و آخرون (المرجع نفسه)ص: 08.

[13] عبد العزيز حمودة "المرجع السابق " ص: 270.

[14] مرجع نفسه ،ص: 254.

[15] المرجع نفسه ، ص: 259.

[16] المرجع السابق، ص: 13.

[17] راضية شتيوي "إشكالية المصطلح النقدي عند يوسف وغليسي "(رسالة ماجستير)جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،الجزائر ، 2015/2014 ص: 02.

[18] محمد بوعزة "تحليل النص السردي تقنيات و مفاهيم " منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،الرباط ،المغرب ،ط1 ، 1431هـ/2010م ص: 9.

[19] عز الدين إسماعيل: "أما قبل" فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد الأول، العدد الثالث، القاهرة، أبريل 1981م، ص5.

[20] ينظر: د.سيد البحراوي: البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، القاهرة، 1993م، ، ص-107.

[21] أبو شاويش حماد "مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث "مجلة كلية التربية ،مجلد1 العدد2 ، يناير 1997 ص: 205

[22] بسام قطوس "قضايا المصطلح اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة " دار الوحدة للنشر و التوزيع ،اللاذقية ، سوريا ، 1988.ص: 324.

[23] عبد الله الغذامي "الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية "المركز الثقافي العربي –بيروت –لبنان –ط1 ،1985 ، ص: 50.

[24] يوسف وغليسي "مناهج النقد الأدبي "جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ط1 ، 2007/1428م ص:183.

[25] المرجع نفسه ص:184.

[26] عبد السلام المسدي "المصطلح النقدي " مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع تونس 1994،ص:12.

[27] عبد الله ابراهيم ، صالح هويدي " تحليل النصوص الادبية قراءات نقدية في السرد و الشعر" ص:8. ،كتاب من الموقع الالكتروني : www.kotobarabia.com.